الطارمية تحت سطوة التهديدات الإرهابية

نزوح عشرات العوائل.. والمواطنون يحملون الدولة والمراجع الدينية المسؤولية!

كتابة وتصوير عبد الزهرة المنشداوي

أطفال بلا مدارس وشباب بلا أعمال وعوائل كاملة تبحث عن سقف لها!

شرق مدينة الصدر وبالتحديد في قعر حي طارق المبتلى بإنعدام أبسط الخدمات وضعت العديد من العوائل رحالها تحت قبة السماء بانتظار المجهول، العوائل يزيد تعدادها على ثلاثين عائلة تبدو للناظر وكأنها من البدو الرحل الذين يجوبون الصحارى بحثاً عن الكلأ والماء ولكن في زمن الطيران والرحلات نحو القمر. عوائل أجبرت على ترك منازلها وأملاكها في منطقة الطارمية وغيرها بفعل تهديدات الإرهابيين الذين يحاولون زرع الفرقة فيما بين العراقيين بخناجرهم المسمومة وطروحاتهم التي أكل الدهر عليها وشرب.

نساء وأطفال وشيوخ يفترشون الأرض وقلوبهم تتلفت إلى منازلهم التي أجبروا على إخلائها البعض منهم يجري اتصالاته مع المسؤولين في دوائر مدينة الصدر القريبة سائلين المعونة والمساهمة في توفير ما يمكن توفيره لهذه العوائل التي نزحت مرغمة من منطقة الطارمية والمشاهدة. وزارتا حقوق الإنسان والمهجرين والمهاجرين لا تعرفان عنهم شيئاً.

أكثر من ستين عائلة نزحت

السيد علي لطيف شاب في العشرينيات يقود سيارة حمل (لوري) التقيناه في حي طارق ونحن في طريقنا إلى أماكن تجمع النازحين من الطارمية قال لنا:

العوائل في نزوح مستمر نقلت بسيارتي أثاث أكثر من عشرين عائلة في منطقة الطارمية يتعرض أهالي الجنوب من الشيعة إلى تهديدات ومضايقات منذ سقوط النظام. هذه العوائل فقدت العديد من أبنائها لا يمر يوم من الأيام من دون أن يقتل فيه بريء لا ذنب لديه غير هويته. الإرهابيون وبمساندة البعض من أهالي المنطقة صاروا يمارسون عملية الاضطهاد ويجبرون العوائل على ترك منازلهم. رجال الشرطة في الطارمية يقومون بدور مزدوج لا أتوانى عن القول فيهم بأنهم يتساهلون مع المارقين أكثر مما يعملون مع الدولة علاقتهم بها علاقة راتب والأهالي لا يأتمنون بهم تفاقم الوضع في الطارمية إلى حدود بعيدة وصار الجار يخاف من جاره.

توكنا بيوتنا مرغمين

مع الأسف، يقول ذلك الحاج أبو جواد الذي يناهز عمره الخامسة والسبعين ويواصل حديثه:

منذ خمسة وخمسين عاماً ونحن نسكن منطقة الطارمية والآن كما ترانا نفترش التراب ونتجول بلا مأوى لقد أجبرونا على ترك منازلنا غصباً. إرهابيون وقتلة بلا ضمير أو وازع أخلاقي ضيقوا علينا الخناق لهويتنا الشيعية يطلقون علينا لقب (الشراكوه) يريدون أن ينتقموا من الدولة ومن المراجع الدينية بواسطتنا. جعلوا أطفالنا يخافون الذهاب إلى المدرسة وشبابنا لا يخرجون إلى أعمالهم إلا بحماية السيطرة قرب الجسر.

لقد قتلوا ابني غيلة. الآن مع كبر سني فإني مكلف بإعالة عائلة تعدادها سبعة عشر نفراً. أدعوا الدولة إلى حفظ ممتلكاتنا من بيوت ومزارع تركناها هناك وأن تقتص لنا من الإرهابيين ومن الذين يساندونهم في هذه المنطقة.

ثلاث ضحايا يومياً

جاسم شاب من النازحين افترش حصيراً وجلس يتفيأ ظلال خيمة عسكرية يقول لنا:

كنت أعمل في مجال البناء لكنني اضطررت اضطراراً بالتوقف عن العمل. في هذه المنطقة كل يوم نجد ثلاث ضحايا من الشيعة مرميين في المزابل. صاروا (ويعني الإرهابيين) يعترضوننا على الطرق ويحاسبوننا على قصة الشعر ونوعية الملابس. يسمعوننا اقذع الشتائم وكثيراً ما يعيبون علينا بالقول (انتم شراكوه). لقد لزمنا البيوت فالخروج منها إلى الشارع يكتنفه الخطر. في أحد الأيام جاءني صديق وحذرني بالقول أن أسمي قد (دون) وهذا معناه ترشيحي للقتل برصاصهم.

أخبرت عائلتي وطلبت منهم مغادرة المنطقة بأسرع ما يمكن وجئت إلى هنا تركت بيتي وعملي للحفاظ على حياتي وحياة أشقائي. الإرهابيون صاروا يتعرضون للقوات المحتلة من بيوتنا ويطلقون عليهم النيران بقصد ويقتحمون بيوتنا في الليل والنهار لكننا لا نملك حق اعتراضهم يقولون لنا أنتم ومراجعكم الدينية عملاء للأمريكيين ويضيف:

ولدت في هذه المنطقة وترعرعت فيها وعشنا أياماً لا فرق بين شيعي وسني والكل أخوة متحابون لكن بعد سقوط نظام صدام انقلبت الأمور رأساً على عقب وصار الآخرون ينظرون إلينا نظرة مختلفة ويطلقون علينا مسميات (شيعة) و(شراكوه) وكأنهم يعيروننا بها.

شرطة الطارمية متهمة

السيد سالم حميد وهو رجل كبير السن قصدناه في خيمته. علامات الحزن والتعب بادية بوضوح على قسمات وجهه المؤطر بلحية فضية مشذبة يساهم بالقول فيذكر:

– (خوش مجزرة) هذا الكلام يردده الكثيرون حولنا ويعني بأنهم قاموا بقتل أبنائنا الشرطة في الطارمية تحدد عملها بنقل الجثث من المزابل إلى دائرة الطب العدلي وليس لديها غير هذا العمل. صرنا نخافهم كما نخاف الإرهابيين ويخامرني الشك بأنهم ينسقون معهم. في الطارمية والمشاهدة تربطنا أواصر صداقة ومصاهرة مع الجميع وخير دليل على ذلك إن قريبي متزوج من ابنة عم المطلوب ذياب الأحمد لكن الناس انقلبت فجأة بقدرة قادر (بعنا الحلال) وتركنا منازلنا نشداناً للأرض. ولكن في هذه اللحظات أشعر بندم وأقول مع نفسي لو قتلنا كان أرحم لنا من هذه الحالة التي نحن فيها.

كلفنا عضو الجمعية الوطنية الأستاذ بهاء الأعرجي بمناشدة المسؤولين في المنطقة من أجل الحفاظ على ممتلكاتنا وباتيننا التي تركناها وراءنا فكان جوابهم بأننا ليس أصحاب أملاك أو حقوق وإننا جئنا إلى المنطقة لقص القصب فيها في حين إننا عشنا في هذه المنطقة منذ ما يزيد على النصف قرن ولدينا حجج الملكية ومستندات رسمية بأملاكنا.

يؤسسون للتقسيم

أبو سالم من مهجري الطارمية جاء عندما سمع بنبأ وجود صحافة فتحدث بدوره قائلاً:

هذه الممارسات التي قاموا بها ضدنا المراد منها زرع الفتنة بين أبناء الوطن الواحد ومن ورائها يبغون أن ننزح نحو الجنوب ونتمترس هناك ليتحقق لهم ما يريدون من تقسيم البلد.

لقد رأيت حادثة قتل احد عشر شاباً من أبنائنا قرب المشاهدة وهم داخل سيارة كيا وكيف كانوا يدوسون على رؤوسهم مرددين (الله أكبر) بينما كان دم الضحايا الأبرياء يسيل على أسفلت الشارع غزيراً. لقد قتلوهم جميعهم وأخلوا سبيل السائق الذي لم يكن من أهالي الجنوب. العوائل التي هاجرت من منطقة الطارمية يفوق عددها الستين عائلة والذي أعرفه أن عشرين منها في منطقة الرشاد وثلاثون إلى أربعين عائلة في هذه المنطقة منطقة (حي طارق) وعدد آخر حطوا الرحال في بقعة خالية في مدينة الشعب وعوائل أخرى في سبيل النزوح.

لقد بدأ نزوحنا منذ ما يقارب الشهر. نريد من المسؤولين مساعدتنا فالمنطقة مفتوحة ولا استبعد أن يلاحقنا الإرهابيون إلى هنا.

أطفال بلا مدارس

حيدر صبي في حوالي الثانية عشرة من العمر نسأله عن مدرسته فيجيب:

الإرهابيون جعلوني أترك المدرسة وأتجه مع عائلتي إلى هنا.

في الصف يقوم المعلم على فرزنا حسب هويتنا وبعضهم يعترضنا في الشارع ويسمعنا الشتائم أو يقوم بحلق شعر رؤوسنا. الآن بلا مدرسة ولا أمل لي بالعودة إليها.

يقول لنا الصبي حيدر بأسى وحزن. ويضيف: – مدرستي اسمها مدرسة الهذلي.

يحاسبوننا على الحصة

السيد فاضل يذكر لنا أن العوائل هناك عرضة للمحاسبة على إجراءات الدولة وفي هذا الصدد يقول:

إذا تأخر موعد تسليم الحصة التموينية فإن أهالي المنطقة يعتبروننا نحن المسببين ويقولون لنا بأن صدام كان يوزعها علينا كاملة في أوانها وأنتم الآن تأخرونها ولا تعطونها كاملة يقولون ذلك لنا بحجة أن الدولة مقصورة علينا نحن الشيعة أو المنحدرين من الجنوب. طاردوني من أجل قتلي عدة مرات لكنني استطعت التخلص منهم والمجيء إلى هنا.

لا أنام الليل

أم سعد تتلفع بالسودا وتسكن في خيمة قالت أن زوجها قد استعارها من أجل الإيواء إليها من حر الشمس تشارك في الحديث وتذكر:

– أنا لا انام الليل خوفي على أطفالي يؤرقني الإرهابيون كانوا ينوون ذبح حتى أطفالنا. لذلك منعنا أطفالنا من الذهاب إلى المدارس أو الخروج إلى الشارع لقد عشنا في قلق بعد سقوط النظام وتنكر لنا الجميع وصاروا يعيروننا بهويتنا مع إننا من قدماء سكنة هذه المناطق لنا فيها أملاك وبساتين لا أعلم ما الذي حل بها.

يلاحقوننا إن خرجنا من البيت ويستوقفنا أياً كان في عرض الشارع ليسألنا أين كنت أو إلى أين تذهب؟ لقد منعوا أيضاً الدلالين من عرض منازلنا للبيع. وهي الآن موقوفة لديهم. هذه العوائل تدفع ثمن إجراءات الدولة ومواقف المرجعيات الدينية ولكن لا الدولة ولا المراجع سألوا عنا وما حل بنا هذه الأيام.

(سوالف)

أيد محسن شيخ طاعن في السن يقول:

(سوالفنا كثيرة) والمشتكى لله وحده أهالي الطارمية المنحدرون من الجنوب توزعوا هذه الأيام على مناطق عديدة بعضها ذهبت باتجاه الناصرية وأخرى إلى منطقة النهروان جئنا بعدما شعرنا بأن قتلنا مباح من أهالي المنطقة وقد أخبروا ولدي الذي يمتهن تصليح السيارات بأن جماعة خططت لقتله. الآن يجري قتلنا وفق قوائم إعدام معدة من الإرهابيين وبعض المتنفذين في المنطقة.

دعوة

السيد شايع قاسم الموسوي الذي يدير منظمة حقوق الإنسان والديمقراطية توجهنا لنسأله عن دور منظمته في رعاية عوائل النازحين من الطارمية والبعض أشار إلى وجود آخرين من مناطق (أبو غريب) والدجيل والدورة.

أجابنا قائلاً:

لا يسعنا إلا أن ندعو الجميع إلى مد يد العون لهذه العوائل التي أضطرت إلى ترك منازلها واتجهت إلى هاهنا وعلى منظمات المجتمع المدني والمؤسسات ذات العلاقة أن تسارع إلى احتضان هذه العوائل وتقديم المساعدة لها واعتقد أن السيد قائممقام مدينة الصدر والمجلس البلدي يبذلون ما في وسعهم من أجل التخفيف من معاناة هذه العوائل التي تفتقد إلى سقوف تأوي تحتها من حرارة الشمس وعلى حد علمي أن البعض منهم أي من النازحين قام ببناء غرف من قطع البلوك استعداداً لمواسم الأمطار. من جانبنا ومع الأسف منظمتنا لا يتوفر لديها المال ولا الإمكانات لتقديم ما يمكن تقديمه لذلك سوف نتحرك باتجاه وزارة المهجرين والمهاجرين وكذلك وزارة حقوق الإنسان للتدخل هناك حاجة ملحة إلى الماء وإلى الخيام خاصة نود أن تتوفر.

وزارة المهجرين لا تعلم بشيء

لم نشهد خلال تجوالنا أي مظهر من مظاهر الاهتمام التي يجب أن تحاط بها هذه العوائل التي افترشت الأرض تحت قبة السماء لا منظمات إنسانية ولا وزارات معنية. أصحاب العوائل في رواح ومجيء ما بين المجلس البلدي وقائممقامية مدينة الصدر والبعض منهم راح يشتري الطابوق ليبني لعائلته غرفة تؤويهم والآخر يبحث عن خيمة يؤجرها.

قدوم الشتاء يقلقهم كثيراً

بدورنا اتصلنا بوزارة المهجرين والمهاجرين لنعلم منهم الآلية التي يعتمدونها للوقوف مع هذه العوائل النازحة في محنتها.

فكان الرد من مديرية الإعلام في الوزارة بأنهم ليس لهم علم بوجود هذه العوائل. وأن السيد محمد من قسم الإعلام الذي كان على الطرف الآخر من الهاتف وعدنا بإيصال هذه المعلومة عن وجود نازحين إلى المسؤولين الذي قال عنهم بانهم لن يألوا جهداً في تقديم ما يمكن تقديمه. ونحن وعوائل النازحين في الانتظار.

رمضان شهر اليمن والبركات

هل انقرضت العادات البغدادية الرمضانية

أين شباب اليوم من مناسبات وفولكلور رمضان؟

صافي الياسري

رمضان يبادلنا الطيبة والكرم

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان –صدق الله العلي العظيم –تلك الآية القرآنية المقدسة التي تتكرر اليوم وكل يوم من أيام رمضان المبارك على منابر المساجد والحسينيات كلازمة لابد منها لتبيان منزلة وماهية هذا الشهر المقدس الذي يقول فيه رب العالمين (كل أعمال بني آدم له إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به).

وقد ترعرعنا صغاراً على طقوس خاصة برمضان نكاد نفتقدها اليوم، صحيح أن (صواني) الحلويات تغزو اليوم ككل رمضان شوارع بغداد وبالأخص في مناطق الكاظمية والأعظمية والشيخ عبد القادر، فبرغم الوضع الأمني المتردي يزدهي شارع باب المراد مثلاً بالزوار قبيل لحظات الاذان أو وقت الإفطار وهم يتسوقون الحلويات أو الفواكه وما زالت حلويات ومعجنات الكاظمية تحمل أسماءها القديمة (الزلابية والبقلاوة وزنودالست والشعرية واللقم والدهينية) وأسماء أخرى يبدع الباعة في التفنن بالنداء عليها.

نسوة الطرف

وكانت نسوة الطرف يتبادلن الزيارات فيما بينهن فيما اصطلحن على تسميته (التعلولة) ويتبادلن الأطباق قبل موعد الأذان بقليل، فتنتقل أطباق الرطب بين بيت وآخر وكذلك الخبز عروك، وخبز العباس والعراقيون يعرفون جيداً هذه النوعيات ويحبذونها، أما الرجال فلهم مجالسهم الخاصة.

ألعاب الرجال الرمضانية

ليس هناك من لا يعرف لعبة المحيبس العراقية أو يمارسها وهي لعبة تختص بها ليالي رمضان، وتمارس بعد صلاة العشاء في مقاهي الطرف ويلعبها فريقنا من حيين مختلفين يتنافسان للفوز وتقوم على مبدأ اكتشاف مخبأ المحبس الذي يقوم بإخفائه (المبيتجي) الذي يتولى تبييت المحبس.

وينهض من الطرف الآخر أكثرهم خبرة وفراسة لمعرفة مخبأ المحبس ويستخدم مصطلحات –أكعد أنت –أي إنك خارج اللعبة –العب على ها العظم وها العظم وها العظم –والباقي طك، ويعني أنه يلعب على ثلاثة أشخاص يطبقون أيديهم ويضعونها أما خلف ظهورهم أو على أفخاذهم جالسين على الأرض في الغالب، وحين يطلب الخبير من أحدهم فتح إحدى يديه ويكون فيها المحبس، يهتف هذا بقوة –بات –وتسجل نقطة ثمينة للفريق الخصم الذي يستمر في اللعب حتى يفقد المحبس وهناك مجلس حكام يعالج الأخطاء المرتكبة في اللعبة مكون من كبار السن وحين يصل أحد الفريقين إلى تسجيل ٢١ نقطة يكون قد فاز وتنطلق الزغاريد وتوزع الحلويات على الجميع حتى على الفريق الخاسر الذي يتولى دفع قيمتها. وقد تقام مباريات دورية بين عدة أحياء وقد فازت الكاظمية بعدة دورات في هذه اللعبة ببراعة لاعبيها وعلى رأسهم واثق الأسود.

وهناك لعبة الفنجان وهي تلعب بين فريقين أيضاً وتوضع عدة فناجين على شكل مقلوب في صينية ويطلب من الفريق الآخر كشف الفنجان الذي يخبأ تحته المحبس، وتسجل نقطة للفريق الفائز وهكذا.

كانت هذه هي أهم اللعبات البريئة التي مارسها البغداديون حتى وقت قريب، وما زالت تمارس على نطاق ضيق بين صبيان المحلات الشعبية القديمة مثل (ام النومي والصميلات والانباريين) وأحياء شعبية أخرى.

يقول السيد عبد المحسن مراد (٧٠) سنة كنا نجتمع تلقائياً كل ليلة في مقهى (كاظم كطا) وننقسم إلى فريقين ونمارس اللعبة، الآن يقف الوضع الأمني حائلاً في وجهنا فنحن نخاف أن يدخل تجمعاتنا انتحاري بحزام ناسف او ان تغرس في المقهى عبوات ناسفة أو حتى أن نهاجم بقنابل الهاونات ولهذا توقفنا مجبرين، لكن الصبيان في الحارات والأزقة وعقد الأحياء يمارسون اللعبة بحيوية يحسدون عليها، برغم إنها ينقصها (المربع البغدادي) الذي كان يتخلل اللعبة أو يختمها، فهم قليلو الخبرة ولم يعد في إمكاننا أن نعلمهم وأنا يثيرني العجب والدهشة أنهم تخلوا عن أفلام الستلايت ومسلسلات الفضائية الرمضانية ودسكات الليزر والفديو وجلسوا على قارعة الطريق يمارسون العاباً تحتضر.. ربما كان التيار الكهربائي المتقطع هو السبب، ولكن الغالبية هنا يملكون مولدات .. الا تعتقد معي إنها روح العراق التي لا يمكن أن تنقرض.

جسر الأئمة الذي ما زال مخنوقاً

وهو من أشهر وأهم جسور بغداد ويربط بين أكبر حيين بغداديين، هما الكاظمية والأعظمية، فضلاً عن مدن وأحياء الرصافة والكرخ التي نمت أفقياً طوال الثلاثين سنة الأخيرة نمواً مذهلاً ولكن قطع هذا الجسر ومنع استخدامه للعبور (بالعربات) لم يمنع ذلك الحادث المأساوي الذي عرف بجريمة جسر الأئمة التي راح ضحيتها أكثر من ١٢٠٠ مواطن، في الزيارة التي تمت بمناسبة استشهاد الإمام موسى بن جعفر (ع). ولقطع الجسر تأثير سلبي آخر مهم، هو قطع شريان تجاري بين أحياء الرصافة والكاظمية وتعقيد الأمور على نقل البضائع بين الجانبين، وقد منيت الكثير من المحال التي تعود ملكيتها لسكان الحيين الأساسيين الكاظمية والأعظمية بخسائر كبيرة وتراجع النشاط التجاري في منطقة الأعظمية بشكل خاص فثمة جسور أخرى استخدمها المواطن للوصول إلى الكاظمية التي تعد اليوم أكبر سوق تجاري في بغداد، تجاوز في إمكاناته إمكانيات سوق الشورجة الذي تعرض لحريقين مدمرين أديا إلى هروب التجار وروؤس الأموال من ذلك السوق التاريخي إلى أسواق بديلة ومنها (جميلة والكاظمية والبياع).

حركة المواد الغذائية وأسعارها

تتهيأ البغداديات قبل أيام أو أسابيع في رمضان لتوفير مواد غذائية مهمة وبكميات كبيرة كالعدس والشعرية والرز والدقيق الأبيض (الصفر)، فالشوربة) إحدى لوازم المائدة البغدادية الرمضانية التي لا يمكن التخلي عنها، ويدخل في تركيبها العدس والشعرية والرز، كما تشتري بعض العوائل البغدادية (الجريش والحبية) لتنويع أطباقها، وهذا الإقبال على شراء هذه المواد رفع اسعارها إلى حدود غير واقعية هذا العام كما تؤكد العديد من العوائل التي جاورناها حول هذه المسألة وكذلك ارتفع سعر (الرطب) والدبس، فضلاً عن الزيادة التي عمت ميدان الوقود –البنزين والنفط والغاز – برغم التسعيرة التي اتخذتها الحكومة، فأقل تسعيرة واصلة لقنينة الغاز هي ٣٥٠٠ دينار أما البنزين والنفط فحدث ولا حرج، وتقول السيدة كريمة علاوي حسين من سكنة أم النواصي في الكاظمية وتعمل معلمة، كيف يكون رمضان كريماً وهم يغلون يديه بطعمهم؟

أسواق البالات

ومنذ الآن تستعد العوائل البغدادية للعيد السعيد، والكاظمية مع الباب الشرقي من أكبر أسواق البالات في بغداد وتشهد حركة واسعة ومضطردة ويقال أن الأموال المستثمرة فيها تساوي أكثر من ثلث الأموال المستثمرة في بقية قطاع النشاط التجاري في الكاظمية، إذا استثنينا قطاع الخدمات السياحية (الفندقة والمطاعم) بسبب انقطاع الإيرانيين أو قلة نسبة الزوار القادمة منهم إلى الأراضي المقدسة في العراق لأسباب عديدة في مقدمتها الوضع الأمني، وقد ألحق هذا الانقطاع خسائر فادحة أيضاً ليس بالمستثمرين في قطاع الفندقة والخدمات السياحية وحسب، وإنما حتى بمحال التسوق التي كان يزودها تجار المدينة بالبضائع المستوردة المطلوبة إيرانياً، كما اثرت في قطاع الأعمال الملحقة لخياطة القماصل والقمصان والبضائع المحلية الأخرى، الأمر الذي جعل أجواء رمضان هذا العام أشبه بالأجواء المصابة بنكسة تحتاج إجراء غير اعتيادي لتجاوزه، وإذا أضفنا إجراءات قطع الطرق وإغلاق الشوارع في بغداد وعزل المحافظات عنها، وعزلها عن بقية المحافظات عرفنا كم تبدو قاتمة أجواء رمضان التي لم تعد أسواقها تستقبل شاحنات المخضرات والمواد الغذائية التي كانت تتوارد عليها بيسر ولم تعد اليوم بسبب انتشار الحواجز من الوصول إلى مواقع التصريف جملة أو مفرداً.

أجواء الأعظمية

تظل الأعظمية عابقة بعطر الإمام النعمان بن ثابت وتستقطب إليها كل شيعة المذهب الحنفي في شتى أنحاء العراق والعالم، ولا تكاد عوائل الأعظمية تختلف عن عوائل الكاظمية أو بقية العوائل البغدادية في تهيئتها المسبق – عذائياً –لشهر رمضان. ويبدأ مساء الأعظمية مع قرار حمامات الضريح في سماواتها العسجدية بعد أن ينادي شيخ المئذنة بصوته الجهوري المنغم – الله أكبر –، عندها ننتظر نهاية الآذان ونمد أيدينا معاً إلى طبق –اللبن والرطب –وبعد البسملة نقول –اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ولصوم غد نويت، ابتلت العروق وذهب الظمأ، وثبت الأجر إن شاء الله.

وتمتلئ بعد صلاة العشاء باحة مسجد الإمام ابي حنفية وقاعته بمئات المصلين الذين يؤدون صلاة التراويح، ويباركون لبعضهم صومهم وإفطارهم، فتتملك هنا روح خشوع صوفية التسامي، وبانتظار ليلة القدر المميزة في الأعظمية التي هي خير من ألف شهر ولها طقوسها الخاصة، يتهيأ سكان المدينة لخزن الشمع والحلويات المناسبة، وحفظ الأشعار والأذكار، وخط اللافتات التي تمجد تلك الليلة الشريفة وقيمتها القدسية وتصلي وتبارك على سيد الكائنات محمد (ص) الذي بشر بها وحض على عبادتها، ويستمر المصلون تلك الليلة في أداء صلواتهم طوال الليلة، وثمة أسطورة تقول أن يصل الله صلاته تلك الليلة يفتح له باب السماء فيرى الملائكة وتلبى طلباته، وهذا الاعتقاد الشعبي جزء من طقس أسطوري يوضح مدى أهمية تلك الليلة.

على عتبة الشيخ الكيلاني

في السنوات التي سبقت النظام المباد كنا نذهب إلى مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني متبركين بتربته وضريحه، مستذكرين كراماته ومعجزاته، وكانت باحة الضريح تكتظ بالنساء والرجال والأطفال بأزياء تعبر عن هوياتهم الوطنية، فهنا الباكستاني والهندي والأفغاني، والعربي القادم من أقصى المغرب أو المشرق العربي حاجاً.. مريداً.. لائذاً داعياً فكرامات الشيخ الكيلاني عمت الأرض كلها، وليس هناك من لا يروي عنه كرامة، ولكن الأغلبية الشعبية تجهل القيمة الحقيقية للفكر الذي كان يمثله الكيلاني والفلسفة التي كان يعتنقها ويدعو لها، وفهمه الصوفي لحقيقة الذات الإلهية، ولم يفهم عنه إلا أنه شيخ طريقة بالمعنى الذي حكمته مغالاة بدلاً من أن تقوم على إسناد علمي ووثائقي ثابت، قامت على خرافات يعلم دارسو شخصية الكيلاني أنه أكبر من ذلك، ولكنها روح الشرق التي تعتمد المبالغة فتصل بالشخصية إلى حدود التقديس دون أن تدرك أنها إنما تغمطها حقها من حيث لا تدري، وقد ساهم في ذلك التناحر العثماني الصفوي على العراق.

وحول ضريح الشيخ الكيلاني نشأ أيضاً سوق وإن لم يرق إلى مستوى أسواق الأعظمية والكاظمية، وقد ضمت إلى منشآته قاعات يفترض أنها مخصصة للاحتفالات الدينية ولكنها لم تكتمل تماماً بعد، كذلك هناك مدارس دينية خصصياً لتحفيظ الأطفال والصبيان القرآن الكريم وبخاصة في شهر رمضان، كما يتم توزيع الصدقات على المستحقين والمتعففين، وبرغم كثرة الشحاذين في المنطقة المحيطة بضريح الشيخ، إلا إنهم يجدون وبخاصة بعد خروج المصلين من ينفحهم بما يحتاجونه مالاً أو طعاماً.

وعند كل ولي وعند الآخر حتى المقدسة التي وضع لها العراقيون أماكن خاصة في أنفسهم يمكنك تلمس روح رمضان تبادل العراقيين طيبتهم وكرمهم، وتكتب يواباتهم على صفحات مقدسة خالدة.